

اقتراح في اصلاح الرسم العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

استاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة في عيوب الرسم العربي وآثارها ، لأنني قد راعيت في الطريقة الجديدة التي اقترحتها أن يتخلص رسما من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربي إلى الأمرين الآتيين :

(أولهما) أن السكّات تدون بحسب هذا الرسم في الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أي مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ - أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عريباً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملكاً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلاماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففي معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ - أن النص العربي الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تفاوت واسع النطاق في أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) في اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم في وزن السكّات

٣ - أنه من التندر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسي .. الخ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل .

ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجي حروف السكّات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ - أن رسماً كهذا من شأنه أن يُشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن في استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملهمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا

(وثانيهما) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان في أول الكلمة ، وأخرى إذا كان في وسطها ، وثالثة إذا كان في آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ - أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والخبرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ - أنه يكلف المطابع نفقات باهظة في الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ - أنه يخلق سموبات في الطبع ويرهق العمال القاعين على صف الحروف من أسهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة في صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقاً

٤ - أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطابعية في السكّات العربية بينما تندر جداً في السكّات الإفرنجية ، مع أن جامعي السكّات الأولى ومصلحي تجاربها يبذلون من الجهد في الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم في السكّات الثانية

وقد قدّمت عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

بعض بنفس الصورة التي ترسم بها الحروف المفردة في رسمنا الحالي ؛ هكذا : ا ب ت ث ج ... الخ

٢ - أن ترسم الهاء هكذا : « ه ه » ، والتاء المربوطة هكذا « ه ه » ، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح ، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء في الوقف وتاء في الوصل

٣ - أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والمقط ، هكذا : و ي ا . وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فشكلات : رى ، إلى ، على ، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ - أن يوضع فوق الواو التي ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا « و » (أو أية علامة أخرى) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ - أن يوضع نقطتان تحت الياء التي ليست حرف مد ، هكذا « ي ي » للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ - أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا « أ أ » للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارئ على وجهها الصحيح . وترسم على هذه الصورة أيّاً كانت حركتها وحركة ما قبلها ، وأيّاً كان موضعها في الكلمة

٧ - أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا « ا ا » (أو أية علامة أخرى) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع ، وللإشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً في الوصل ، وينطق بها همزة في الابتداء

٨ - أن ترسم اللام الشمسية (التي لا ينطق بها في علامة التعريف) لاماً فوقها ثمانية صغيرة ، هكذا « ل ل » (أو أية علامة أخرى) ، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللإشارة إلى عدم النطق بها

٩ - أن يرسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة ، ويكون تجرده هذا دليلاً على سكونه (وأقول « الساكن بطبعه » لأن الحرف المتحرك إذا سكن في النطق لعارضه كالوقوف عليه مثلاً في آخر الكلمة يكون حكمه في الرسم حكم

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً ؛ والقليل منها الذي يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالي ، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ويحول بين الأجيال القادمة والارتفاع بالتراث العربي ، كما يبتدئ ذلك بتفصيل في كتابي « علم اللغة » و « فقه اللغة »^(١)

وقد كنت رأيت في كتاب « فقه اللغة » أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربي « بالتزام شكل الكلمة التي من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل »

ولكن ظهر لي فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يبق إلا من بعض الأضرار التي أشرت إليها آنفاً هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذي يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع في الخطأ والخيرة . فضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزل في تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ، فلا تكاد تؤدي الغرض المقصود منها

لذلك فكرت في طريقة أخرى تختص الرسم العربي من العيين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارها فيما سبق ، ونعني القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتهما ، وتقى القارئ والكتاب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بترائنا القديم فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها في الأمور الأربعة عشر الآتية :

- أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن

(١) أنظر على الأخص كتاب « فقه اللغة » صفحات ١٧١ - ١٧٥ في الطبعة الأولى و ١٤٣ - ١٣٨ في الطبعة الثانية . وانظر كتاب « علم اللغة » صفحات ٢٤٦ - ٢٥٨ في الطبعة الأولى و ١٨٧ - ١٩٦ في الطبعة الثانية .

الحرف المتحرك ، فندون حركته وفقاً لاقواعد الآتية)

١٠ - أن يرسم عقب الحرف المشدد بطبعه (كالسين في « مس ») أو المشدد في النطق لوقوعه بعد لام شمسية (كالسين في « السماء » علامة شدة فوقها فتحة أو ضمة إن كان مفتوحاً أو مضموماً وتحتها كسرة إن كان مكسوراً . فالسين المشددة أو الواقعة بعد لام شمسية ترسم هكذا في أحرفها الثلاثة : س س س . وذلك للإشارة إلى أن الصوت ينطق به مرتين يسكن في أولاهما وبحرك في ثانيتهما بالحركة المدونة بعده . وإن كان الحرف المشدد منوناً رسمت علامة تنوينه فوق شدة . فاليم في « عم » مثلاً ترسم هكذا في أحرفها الثلاث : م م م .

١١- أن يرسم عقب الحرف الذون غير المشدد علامة تنوينه :
 فيرسم عقب المفتوح فتحتان هكذا = ؛ وعقب المكسور شطرتان
 متوازيتان متصلان بشرطة مائلة هكذا = (حتى تتميز هذه
 العلامة عن العلامة السابقة) ؛ وعقب المضموم علامتان من
 نوع الفاصلة في علامات الترقيم هكذا ، ، (وقد فضلت هذا
 الرمز على الرزين المتداولين في التنوين المضموم وهما " و " لأن
 أولهما يلتبس بالراء المكسرة وثانيهما يلتبس بالثاقف في خط الرقعة)
 فاللام النونة ترسم في أحوالها الثلاثة هكذا : ل = ل = ل ، ،
 وذلك للإشارة إلى أن هذا الصوت محرك بالحركة المشار إليها
 ومتبوع بثون التنوين

١٢ - أن يرسم الحرف المتحرك المدود بالألف أو الياء أو الواو غير متبوع بما يدل على حركته ، لأن وجود الألف بعده يدل على أنه مفتوح ، والياء على أنه مكسور ، والواو على أنه مضموم . فيرسم المقطع الأول من : قال وقيل وقوت هكذا قا قى قو . إلا إذا كان هذا الحرف مشدداً فتطبق عليه القاعدة الناجمة السابقة ذكرها . (فكلمة الدار مثلاً ترسم هكذا : ا - ل د ا ر)

١٣ - أما الحرف المتحرك غير المشدد ولا المنون ولا الممدود فترسم حركته بعده : فإن كانت فتحة رسمت وفق صورتها في الرسم الحالي ، وإن كانت كسرة رسمت هكذا (حتى لا نلتبس بالفتحة) ، وإن كانت ضمة رسمت هكذا ،

(حتى لا يلتبس بالواو إن رسمت بصورها المتداولة)

١٤ - وأما علامات الترفيع فتقسم الأنواع الآتية منها وفق صورها في الرسم الأفرنجى، وهى : « ۱ » () . أما الفاصلة المجردة ، virgule فتقسم فوقها نقطة هكذا ، حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكائها الأفرنجى وبالضمة إن رسمت بالصورة التى رسمها بها الآن فى العبارات العربية « » . وأما الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجلمة المعترضة فيستبدل بهما القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتها العادية :
فترسمان هكذا ()

وفيما يلي نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، قالبيت والمباراة
الآنيان (وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة
التي تقوم عليها طريقتنا) :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود

يدونان حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

٨ ٨
١- لِسْ كَيْفَ، أ - سَدَقَ، أَ نَبَأُ = مَرَن -
٨ ٨
الْكَلْبِ، ب - فَيَحْدَثُهُ الْحَدِيثُ بِ- يَنْ-
٨ ٨
الْحَدِيثِ وَاللَّغْوِ ب-
٨
لِكَ، ل - قَاعِدَةٌ = اِسْتِثْنَاءٌ ، ،
وَلِكِ، ل - مَطْلَقٌ = قِيَمٌ، يُوَدُّ ،

وتتماز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل
بالأمور الآتية :

— أنهما تلخص الرسم العربي تخلصاً تاماً من عيبيه الرئيسيين اللذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال ومن جميع آثارهما الضارة التي أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لها

٢ - أنها تعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارئ والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات وموضعها . وذلك أن طريقتهما ترسم الحركات في صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الكلمة ؛ ولكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهي همزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ^أ ل ^ل و ^و ٣ - أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التي يستخدمها هذا الرسم (فبالكسرة والضمة والعلامة المميزة لهمزة الوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة - ، ٨ . على أن العلامتين الأوليين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شيء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالي

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحقّقه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأت عن مبالغته في الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التي ينطق بها في الكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارئ . وهذا يستلزم حتماً أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً في تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد في مجهود القارئ والكتاب والطابع ^(١) ، مع عدم الإخلال بالفرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقي للثلاث المروطة والواو والياء غير اللينتين وهمزة القطع وهمزة الوصل واللام الشمسية وعلامتي التشديد والتثنية في أوضاعهما الثلاثة والفتحة والكسرة والضمة (و ي أ ل ء ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠) فالصناديق في طريقتنا تقل حتى عن صناديق الطابع الأفرنجية نفسها .

من الأصول المشار إليها في موادها التاسعة والعاشر والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن تحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة في اللغة العربية ، وثبتت علامة الحرف الساكن لقلّة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق (وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامي (الفينيقي والعبري والآرامي والحبشي واليمني ...) وسار عليه الرسم العربي نفسه في أقدم صوره ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربي في الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الكتابين باللغات الأفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه في تعليم الهجاء الأفرنجي وتأخذ تلاميذها به في كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربي من عيوبه وتحقيق الغايات التي نرى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات اللد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم في هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحته ، وبفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه في الكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التي تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعاني بعض العنت في السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلاً من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبء سيكون مقصوداً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحقّقه الطريقة المقترحة من تقويم الألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل في طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لمسكتها في النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته في العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً في مبلغ

إلمامه بقواعد اللغة

عنى عبد الواحد رضى

دكتور في الآداب من جامعة السوربون